مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٧١ . العدد ١٠٤ .

أشكال الصراع في رواية "غرف متهاوية" لفاطمة يوسف العلي .. قراءة في السرد النسائي

دكتورة / أميرة محمد سرانك

الملخص باللغة العربية :

يعرض هذا البحث أشكال الصراع في رواية " غرف متهاوية"، للكاتبة "فاطمة يوسف العلي". من وجهة نظر السرد النسائي، بما فيه من معالجة أحاسيس النساء، وعاطفتهن النسائية، ومعاناتهن.

والرواية تتناول الصراع العائلي، ومايتصل به من القضايا الاجتماعية وقضايا المرأة. ويهتم البحث بقضايا هذا الصراع، عبر العناصر السردية الفنية في الرواية؛ ومنها: الصراع والحدث – الصراع واللغة – الصراع والشخصيات – الصراع والزمكان، ويتبع البحث المنهج التحليلي، ويشمل: المنهج السوسيولجي، والمنهج الفني، والمنهج النفسي.

الملخص باللغة الإنجليزية :

This research presents the forms of conflict in the novel "Decaying Chambers", by the writer "Fatima Yousef Al-Ali". From the point of view of the feminist narration, including dealing with women's feelings, their feminism, and their suffering.

Desire in family conflict, and other social and social issues. The research is concerned with the issues of this conflict, through the narrative technical elements in the novel. The third: Conflict and Event - Conflict and Language - Conflict and Personalities - Conflict and Space, and follows the analytical approach, the primary approach to the sociological approach, the artistic method, and the psychological approach.

أشكال الصراع في رواية "غرف متهاوية" لفاطمة يوسف العلي .. قراءة في السرد النسائي

لقد جذبت الرواية الكويتية اهتمام النقاد منذ أوائل السبعينات من القرن العشرين. ومنذ ذلك الحين حققت الرواية الكويتية تطوراً ملحوظًا، كما بدأ الأدب النسائي يظهر في الروايات الكويتية بشكل لافت.

ففي عام ١٩٧١م ، كتبت فاطمة يوسف العلي رواية " وجوه في الزحام". وشكلت أعمال الروائيات في سبعينات القرن العشرين ٤٣% من إجمالي الروايات.

وفاطمة يوسف العلي[١] : صحفية كويتية، وكاتبة قصة، وهي تحتل مكانة مرموقة بين الكاتبات في الوطن العربي. وقد برعت في كتاباتها، في معالجة شتى أحاسيس النساء وانفعالاتهن، وعواطفهن. كما أثارت الانتباه، بتصويرها الرائع للحقائق النفسية العميقة لخبرات النساء، ومعاناتهن ومايلاقينه من قسوة ومعاناه.

ويتناول هذا البحث روايتها "غرف متهاوية"، وموضوع الرواية هو الصراع العائلي. وهذا الموضوع يتعلق بالحياة اليومية بشكل عميق. كما تهتم الرواية بقضايا المرأة، والقضايا الاجتماعية.

والبحث يلجأ إلى تحليل قضايا هذا الصراع، عبر العناصر الفنية للسرد في الرواية؛ ومنها: الحدث، واللغة، والشخصيات، والزمكان.

– المنهج: ويتبع هذا البحث المنهج التحليلي، ويشمل عدة مناهج[٢]:المنهج السوسيولوجي[٣] (Sociology)– المنهج الفني – المنهج النفسي.

---

[١] هي صحفية كويتية وكاتبة قصة من مواليد عام ١٩٥٣، بدأت ممارسة العمل الصحفي في سن مبكرة، لذا أطلق عليها لقب الصحفية الصغيرة، حصلت على ليسانس آداب– لغة عربية في جامعة القاهرة عام ١٩٨٧. حصلت على دبلوم في الأدب العربي من جامعة القاهرة عام ١٩٨٩ بتقدير جيد جدا.

وتمكنت فاطمة يوسف العلي من الحصول على عدد كبير من الجوائز الهامة، وكان بينها جائزة أبها للقصة القصيرة عام ١٩٩٥، كذلك فازت بجائزة المرأة المتميزة، وكان ذلك عن الكتابة في قضايا المرأة في عام ٢٠٠٨. المرأة قادرة على التعبير عن مشاعرها وأحلامها وطموحاتها وانكساراتها.

[٢] تحليل النص الأدبي ثلاثة مداخل نقدية، إبراهيم أحمد ملحم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦م، ص ٧٥.

[٣]البحث الأدبي : طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٩٦.

- تعريف الصراع:

الصراع يعبر عن شكل من أشكال الرفض، أو التمرد، أو حتى الرغبة في التميز[٤]. ويعتقد "Bagot" أن الصراع يحتل أهمية خاصة في عملية التطور[٥] .

ويعد مفهوم الصراع من المفاهيم المحورية ، التي تتعدد فيها الآراء بتعدد التخصصات في ميدان العلوم الاجتماعية، وتبعا لذلك فقد تعددت التعاريف:

– ورد في معجم علم النفس تعريف الصراع على أنه: حالة إنفعالية مؤلمة ، تنتج عن النزاع بين الرغبات المتضادة، وعدم قضاء الحاجات ، أو عدم السماح في رغبة مكبوتة ، بالتعبير عن ذاتها شعوريا[٦].

– كما ورد في معجم العلوم الاجتماعية تعريف الصراع على أنه:" يشير إلى الموقف الذي يكتسب فيه منبه ما قيمتين متناقضتين؛ أحداهما إيجابية والأخرى سلبية"[٧] .

– وركز الاتجاه الفرويدي على الصراع في تفسير الجريمة. واعتبره حالة تتنازع فيها لدى الفرد قوتان متناقضتان: قوة تدفع وتحث على الإقدام على فعل معين ، وأخرى تقاوم وتمنع وتحذر. وهذه الحالة تختلف من حيث: البساطة والتعقيد، شعوري أو لا شعوري، داخلي وخارجي[٨] .

كما يعرف الصراع أيضًا، بكونه يعني الحالة الناجمة عن تواجد نشاطين متوازيين متضادين، يمكن أن نختار من بينهما الاستجابة . فيكون الصراع بسبب رغبات متناقضة ، تولد في الفرد إحساسات جديدة مثل : الشعور بالحرمان ، أو بالإخفاق ، أو الإحباط...

- طبيعة الصراع:

مادي أو معنوي، أو مادي معنوي معًا، وهذا راجع إلى أهمية الدافع بالنسبة للفرد، فكلما ازدادت أهمية الدافع ، كلما ازدادت حدة الصراع . وبالمقابل كلما تضاءلت أهميته تضاءلت تبعًا لذلك حدته. وهو عمومًا يتجلى في سلوك الشخص ودرجة اضطرابه– وانحرافه.[٩]

---

[٤] الصراع الاجتماعي: الاتجاهات التنظيرية: التقليدية والسوسيولوجية، نادية سعيد عيشور، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣، ص٧.

[٥] المرجع السابق، ص ٥٦.

[٦] معجم علم النفس، فاخر عاقل، دار الملايين، بيروت، دون تاريخ، ص٢٧

[٧] مدخل إلى علم النفس، مصطفى عشوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩، ص١٠.

[٨] سيكولوجيا الطفل (علم نفس الطفولة)، ألفت حقي، مركز الاسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٢٥.

[9] الصراع الاجتماعي، نادية سعيد عاشور، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣، ص٢٠

أولاً: الصراع المادي:

– وبالنسبة إلى رواية" غرف متهاوية"، فهناك صراع مادي بين الشخصيات المختلفة، خاصة بين "نجمة" و"لوزة" و"أرشيدان". ويتجسد الصراع المادي بين "نجمة وأرشيدان"؛ في ميراث الأب. أما بين "نجمة ولوزة"؛ فيتجسد في المتجر.

- صراع نجمة ولوزة :

تمتلك "نجمة" المتجر، وكان مربحًا في البداية، لكنه خسر خسرانا مبينًا، وأصبحت حصيلة ما يباع، لا تكفي للإيجار وأجور العاملين. ولذلك فهى تقرر مباشرة حركة البيع والشراء ، ومتابعة الصادر والوارد بنفسها.

وعرضت "لوزة" أفكارًا جديدة على "نجمة"، ووافقت نجمة على أن تستعين لوزة بزوجها "سميح" الفلسطيني في العمل، وبعد أقل من شهر من العمل بالمتجر، فتحت لوزة عينيها لتجد نفسها متحكمة في إدارة العمل. وقد حققت الأرباح من المبيعات، منذ أن تولت مسئولية الإدارة. ويصبح الهدف للمتجر هو الربح الكثير من البيع القليل.

وفي المتجر، كان غياب نجمة عنه فرصة سانحة للعب على المكشوف، فأباحت لوزة لنفسها أن تستقبل عملاءها فيه، وتستضيفهم دون خوف أو خشية بمعاونة سميح ومدير الفندق، من أن تفاجئها نجمة بزيارة غير متوقعة. وبعد قليل من الأيام، كان المتجر يواجه خسارة فادحة مرة ثانية، وقررت نجمة أن تباشر العمل بالمتجر بنفسها، وتشرف على حركة البيع والشراء والصادر والوارد . وألغت كل الارتباطات، ربما تدرك سر الخسارة التي لحقت بها، وتصل بالمتجر إلى شاطئ النجاة.

لكن تعللت لوزة بأن البيع بهذه الطريقة أفضل من عدم البيع، وألغت نجمة البيع بهذه الطريقة، واجهتها لوزة وسميح بطلب إجازة من العمل اعتراضًا على قرارها. وأخيرًا سافرت لوزة ولحق بها سميح.

وتأكدت نجمة أنهما لن يعودا إلى العمل بالمتجر، وأنهما هكذا اختارا الهروب من المسئولية قبل أن يتم توجيه الإدانة إليهما بتهمة تخريب العمل بالمتجر وخيانة الأمانة.

في رأي نجمة، أنها هي صاحبة المتجر، ومن حقها المحافظة على مالها. وهنا من الواضح أن الصراع المادي بين نجمة ولوزة هو صراع كبير، ومن الصعب أن يحله كل منهما.

- صراع نجمة وأرشيدان : أما أرشيدان، وهي شقيقة نجمة من الأب فقط، وكانت تتمنى متجرا مثل نجمة أيضًا، تريد مشروعاً بالقرب منها والميراث من الأب. وتعلم أرشيدان أن مهمتها ستكون

صعبة، لكنها ليست مستحيلة، إنها لا تعرف المستحيل. فهي لا تحب والدها، وكل تصرفاتها تفضحها، وتكشف أن نظرتها إلى الوالد، ليست إلا مثل نظرة الجائع الشره إلى طبق من الطعام الشهي.

لم تكن نجمة تعتقد أن يصل الأمر بشقيقتها إلى هذا الحد، وأن تطالب بميراثها في أموال والدها، دون مواراة أو تمليح، وهو لا يزال على قيد الحياة. تقول نجمة: هل نسيت أن والدك، أطال الله في عمره، ما زال على قيد الحياة، فلا يحق لنا أن نتعجل التفكير في الميراث[١٠]. كيف نطالب والدنا بالميراث ، وهو على قيد الحياة؟ ماذا يقول الناس؟ هل نعجل موته؟ [١١] بينما تقول أرشيدان: أنت لا تريدين لي الخير، أنت تكرهينني، لن أتنازل عن حقي، سوف أقيم دعوى الحجر على أمواله. [١٢]

فكان لكل منهما فكرة متعارضة تماماً، وذلك كان سبب الصراع المادي، حول الميراث مباشرة.

وأخيرًا رفضت الدعوى، للحجر على ما يملكه عبد الله الفرج من أموال لعدم السفه.

ثانيًا : الصراع الاجتماعي:

إن قضية الصراع الاجتماعي أشارت وفق آراء المفكرين الكلاسيكيين، إلى عملية التغير والتطور الاجتماعي. ويشكل الصراع الاجتماعي موضوعًا قديمًا وجديدًا في آن واحد، فهو قديم لأنه ظهر بظهور الحياة الإنسانية عبر كل مراحلها التاريخية، وجديدًا لأنه اكتسى طابع الديمومة والاستقرار والتغير، بتعدد أشكاله ومظاهره. وهو إضافة إلى هذا يعد موضوعًا في غاية الأهمية والتعقيد. [١٣]

ومن المعروف أن كل المجتمعات التي وجدت حتى الآن شهدت ألوانًا من الصراع، خاصة الصراع الطبقي. وكان بين الناس صراعًا مستمرًا، أحيانًا بشكل ظاهر وأحيانا بشكل مستتر.

-"والصراع الاجتماعي هو أحد أهم العمليات الاجتماعية المفرقة في علم الاجتماع. وهو على عكس التوافق والاستقرار يعزو إلى وجود التناقضات العقدية، وتعارض المذاهب الفكرية وتصادم المصالح

---

[10] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٧، ص٤٦

[11] المرجع السابق، ص١٢٠

[12] نفسه، ص٤٧

[13] الصراع الاجتماعي، نادية سعيد عيشور، دار بهاء الدين، قسنطينة، ٢٠٠٨، ص٨

والأهداف، وانتشار مظاهر الاستغلال والظلم والفساد. وهذا كله مرده إلى الرغبة في تحصيل أقصى درجات الإشباع المادي أو تحصيل الاستعلاء والسبق والأفضلية"[١٤] .

ثالثًا : الصراع النفسي: هو عبارة عن وضع أو موقف انفعالي يعيشه المرء ، يعكس نوعين من أنواع الصراع هما[١٥]: **صراع داخلي– محض:** عند تعارض الرغبات والأهداف الشخصية المتكافئة من حيث القوة، حيث يفقد المرء القدرة على اختيار إحداهما. فهو الصراع مع نفسه.

صراع خارجي : عند تعارض الرغبات والميول الشخصية ، ومبدأ الواقع الذي يقوم بدور الردع والمقاومة. وقد يكون الصراع النفسي شعوريًا أو لا شعوريًا، بسيطًا أو معقدًا تبعًا لقيمة هذه الرغبات وأهميتها بالنسبة للمرء. [١٦]هو الصراع مع الآخرين، مثل الصراع بين أفراد الأسرة في الرواية .

وهكذا، فإن الصراع وما ينشأ عنه ، يعود في الأصل إلى تعارض النزعات الغريزية مع البيئة.

قضايا صراع الأخوة فى الرواية:

إن رواية "غرف متهاوية" هي رواية غنية بالصراعات، لا في إطار العلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة فحسب، بل في إطار الشقيقتين والأصدقاء أيضًا.

وتقدم الرواية صورة للواقع المعيش ، وخرائط طبوغرافية للشعوب العربية وللوطن. مثل شخصية (أرشيدان) وشقيقتها(نجمة)، وحقائق البعد التشخيصي السوسيولوجي فى الرواية أن كل فرد ، يجد شكلًا من الأشكال المحملة بالسياسة ، والفهم الاجتماعي ، والتحليل التأويلي الجدلي، حول قضايا تفجرها نواة الحكي ، في مواقع الحدث.[١٧]إذ تستغل "أرشيدان" كل دقيقة لصالحها خاصة الميراث، وكان" سالم" أكثر الأسلحة فتكًا بالنسبة إليها، فتلجأ إلى استخدامها. وإقامة علاقة مع الشقيقة "أرشيدان" ستهز أركان بيت الأسرة، بل تتسبب في سقوطه المدوي، وبعثرة أركانه مع أشلاء ساكنيه: وينعكس الصراع الاجتماعي دائمًا في الحياة اليومية البشرية، وخاصة حينما يتعلق بربح المال[١٨].

---

[14] تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، محمد علي محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٥١٣

[15] الصراع الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، نادية عيشور، ص٣٩

[16] المرجع السابق، ص٢١

[17] لعبة الفوضى وجمالية الكتابة، زينب لوت، ص١٨

[18] المرجع السابق، ص١٥٤

في رواية "غرف متهاوية"، **موضوع الصراع الاجتماعي هو ميراث الأب**، والأموال الكثيرة. وكان العامل الاقتصادي يشكل جزءً هامًا في إحداث الصراع الاجتماعي.

- منح العم " بكر"لنجمة الأرض لإقامة فندق اللوتس فوقها، ولذلك حاولت "أرشيدان" أن تمهد الأرض لموضوع الميراث،وهي تمنت متجرًا مثلها أيضًا، كما قالت:" يا عم بكر، أريد أن أقيم مشروعًا يمنحني القرب منك، وطبعًا سوف يساعدني والدي بالتمويل"[١٩].

فمن هنا ندرك أن "أرشيدان" تغار من "نجمة"، وتريد كل شيء تملكه"نجمة"، المتجر والأموال الكثيرة.

– وتمتلك "نجمة" المتجر الذي تبيع فيه الملابس النسائية .... وقد كان المتجر مربحًا في البداية، ولكن بعد ذلك خسر خسرانًا مبينًا، وأصبحت حصيلة ما يباع لا تكفي للوفاء بالالتزامات المالية ؛ من إيجار، وأجور عاملين. وهذا كان مؤثرًا في الصراع اللاحق بين الشقيقتين[٢٠].

ولمواجهة خسائر متجرها، قررت "نجمة" مباشرة حركة البيع والشراء ، ومتابعة الصادر والوارد بنفسها، حتى يمكنها السيطرة على المتجر، وعرضت "لوزة" أفكارًا جديدة لتنشيط المبيعات، وزيادة الدخل.

"وافقت نجمة على أن تستعين "لوزة" بزوجها "سميح الفلسطيني" في العمل، بحيث تصبح مسئوليتها هي داخلية ، في التعامل مع العملاء، ومسئولية "سميح" خارجية ، في التوريد والمشتريات."[٢١]

وبعد ذلك، الأمر تغير كأن لوزة اكتشفت ثغرة كبيرة في العمل، تمكنها من تحقيق الثراء من خلال إدارته لحسابها، بعد أن تركت نجمة لها المسئولية، لتتحكم في كل صغيرة وكبيرة، ومنحتها الثقة. لأن في رأي لوزة، هي لا تسرق من نجمة شيئًا، هي فحسب تعمل لحسابها.

- ويتمحور **التهاوي** حول الصراع الداخلي والموضوعي، مبتدئا مع نشوب النزاع بين "نجمة" وأختها "أرشيدان"، من أجل والدهما المسن، الذي تريد "أرشيدان" الحجر عليه، لتتزوج:" هناك من يريد التقدم لخطبتي، عندما تركتك بالأمس جاءني خاطب. تحدثي مع والدي عن حقي في الميراث، أنا في الحاجة إلى أموال لتدبير أمر الزواج."[٢٢]

---

[19] لعبة الفوضى وجمالية الكتابة، زينب لوت، ص٧٤

[20] المرجع السابق، ص١١

[21] نفسه، ص٣٩.

[22] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص٤٤

لكن المحكمة لا تحجر على الأب لعدم السفه، فتسرع "أرشيدان" لمحاولة اغتياله، ولم تنجح. وفي النهاية تموت بحادث سيارة في ليلة ممطرة، كما تتهاوى علاقة "نجمة" مع مديرة أعمالها "لوزة" العراقية التي تغدر بأموالها مع "سميح" الفلسطيني الذي تتزوجه لاحقًا.

صراع الأخوة فى الرواية :

ينعكس الصراع النفسي بشكل عام في "غرف متهاوية" في علاقة الشقيقتين:" نجمة" و"أرشيدان"، ومواقفهما المختلفة عن الميراث. فالعلاقة بين الشقيقتين كانت راكدة، كل منهما مشغولة بحياتها، ولم تكن أرشيدان تهتم بأحوال نجمة، في بعض الأحيان كانت أرشيدان تشاهد نجمة تتحدث عن نفسها على شاشة التليفزيون في حوارات أدبية. فالعلاقة ليست حميمية، ولا تسمح بالحديث في الحفر العميق داخل الصدور. لأن أرشيدان هي الشقيقة من الأب فحسب. ونادرًا ما تهتم أرشيدان بحال شقيقتها نجمة، إلا أن تهتم بالميراث:

قالت أرشيدان لنجمة: " أنا أصبحت مهمومة بك أنت، أريد أن أطمئن عليك، أراك مشردة الأفكار، مبعثرة الهواجس.... لم أكن أدري أنك بكل هذه الرقة، أنت راقية ورقيقة يا نجمة، لكن السؤال هل هذه طبيعتك ، أم أنها حالة مؤقتة لأنك في حضرة القمر؟" [٢٣]

ومن جانب آخر، العلاقة بين "نجمة" و "أرشيدان" و"نوال" معقدة جدًا، فهناك صراع الأخوة بينهم. "نوال" و "أرشيدان" والهدف واحد، وسهمه الماضي والثاقب هو ترجمة الكراهية لنجمة، وأقصر الطرق لبلوغ السهم الهدف، هو العبث بقلب وعقل المخدوع "سالم"، وبالتالي تحقيق الهدف الأسمى وهو المال، والحصول على الميراث. ونوال لا تحب نجمة مطلقًا.

"ابتسمت نجمة لعلياء في سخرية: – أعدائي زادوا اثنتين، نوال و أرشيدان شقيقتي.

قال القاضي: – رفضت الدعوى، لا حجر على ما يملكه عبد الله الفرج من أموال لعدم السفه."

وهذا يظهر أن لقد نطقت المحكمة بما هو عادل. وخسران وبطلان الدعوى القضائية التي أقامتها "أرشيدان" على والدها للحصول على حقها من الميراث. خسرت "أرشيدان" الميراث وعطر ودفء الأسرة معًا، وربحت "نجمة" متوجة بورود الأصالة والصدق والانتماء، ولكنها بمفردات هذا الفوز، بدأت ترسم

[23] نفسه ص١٠٣

خريطة لحرب جديد: حرب ضروس، بكل أسلحتها المرئية وغير المرئية، وسهام الانتقام وهي تنطلق من قوس "نجمة" ستكون على "نوال" أولًا، وبعدها الشقيقة المتمردة "أرشيدان"، وأول هذه السهام القاتلة لنوال تسوية العلاقة الزوجية بينها وبين "سالم".

وكانت أرشيدان تسعى لا لتفكك أسرة نجمة فحسب، بل لتنال مرادها، وتحقيق أمانيها، وهي تجدها صعبة المنال، إذ كل ما تسعى إليه هو الميراث، طال زمن المكائد أم قصر:

"يا من تثقين في زوجك ثقة عمياء، سالم ينام الآن بين أحضان صديقتك نوال في شقتها بالجابرية، الكاذب لم يسافر إلى العراق.

- أحست نجمة بهبوط مفاجئ، وتوقفت الكلمات على لسانها، بل انحشرت الحروف في حلقها، الشهيق والزفير آلية صاحبها نهجان لم تعهده من قبل، أرادت أن تعرف الرسالة ممن، فتحت بيانات الرسالة في الهاتف، لم تجد أي بيانات." [٢٤]

بكل الوضوح، "نجمة" هي الزوجة والأم في نفس الوقت، فتلك الثنائية تجعلنا نرى الصراع عندها واضحًا، هي الزوجة تعيش حياة استقرار مع زوجها لحين ظهور شقيقتها "أرشيدان" وصديقتها "نوال". لكنها تلف الموقف بكثير من الصمت والتستر حتى بعد اكتشاف خيانة "سالم" حفاظا على أسرتها، وخوفًا من الفضيحة التي ستطيح بمركزه في الدبلوماسية، وفي حين واحد، هي الأم، تنتظر مجيء ابنها "حمد" واستقراره. ومخاوف الأمومة تدب بعد قراره الارتباط.

الكاتبة فاطمة يوسف العلي تدافع تارة عن حقوق المرأة، وتارة أخرى عن الوطن ومكاسبه.

الصراع بين الشقيقتين بشأن الميراث:

كان لديهما موقفًا مختلفًا تمامًا تجاه ميراث الأب. أما نجمة، فهي تظن ألا حصول على الميراث.

"كيف تفكرين بهذه الطريقة؟ هل وصلت بك القسوة على والدك إلى هذا الحد؟ كان عليك أن تفكري ألف مرة قبل أن تقولي كلمة واحدة مما سمعت، كان عليك أن تفكري ألف مرة ، قبل أن تظني أنني سأساعدك في الحصول على ما تريدين."

"هل نسيت أن والدك، أطال الله في عمره، ما زال على قيد الحياة، عيب وألف عيب أن تنسي تقاليد مجتمعنا التي تربينا عليها، ولا يحق لنا أن نتعجل التفكير في الميراث... "والدك مريض ومسن، وليس

[24] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص٢٢٠

من البر به أن نفاتحه في أمر كهذا، وكأننا نعجل بوفاته؟ ثم كيف تتلاعبين بي في أمر زواجك؟ من هو ذا الذي تقدم لخطبتك ويريد الزواج منك؟ هل تظنين أنه سينطلى عليّ هذا الأسلوب؟" [٢٥]

وتوضح هذه السلسلة من الأسئلة معارضة نجمة في السعي إلى ميراث الأب مثل أرشيدان. فهي لا تهتم بالمال أو الربح ، سوى مرة وحيدة عندما فكرت في العرس. وتظن أرشيدان أن نجمة ليست في حاجة إلى هذا الميراث، دخلها كبير، وهي أديبة مشهورة وزوجها دبلوماسي مشهور. و أرشيدان لن تتنازل عن حقها، وسوف تقيم دعوى الحجر على أمواله.

إن شجارهما يدور حول الميراث، والصراع يتجسد في موقفهما النفسي تجاه الميراث.

وحاولت أرشيدان أن تجبر سالم على إقناع نجمة، بأن تتضامن معها في إقامة دعوى حجر ضد والدها. وهي مشغولة تفكر في ميراثها ، وتشعر بأنها تخطو في الطريق الصحيح نحو تحقيق الهدف، وتستهدف تسديد أهداف صحيحة في مرمى نجمة. وهي لا تهتم بالآخرين إلا مرة واحدة ، حين تفكر في الصديقات: نوال، وعلياء، والدكتورة رحاب.

- "ماذا لو كان الحال قد بقي على ما كان عليه؟ ماذا لو لم تكن لي أخت اسمها أرشيدان من امرأة أخرى غير أمي، ماذا لو كنت مشاغبة ومشاكسة أطلق الهذيان حلاً عشوائيًا؟" [٢٦]

هذا التساؤل يدل على الخلاف بين الشقيقتين، والصراع المركزي الآخر بينهما هو النسب من نفس الأب ، وليست نفس الأم . وهذا يؤدي إلى الصراع على نصيب الميراث .

أولاً: الصراع والحدث :

الحدث: هو سلسلة أفعال ووقائع، أو هو " مجموع الوقائع التى تكون خط القصة على مستوى الفعل السردي[٢٧]" . وهو حدث " واحد أو جملة أحداث متشابكة مترابطة، يسوقها الكاتب بفنية عالية، وصولاً بها إلى هدفه أو إلى فكرته، التي يريد أن يضعها فيعرفها القارئ".

وإن الحدث يمثل العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية (الزمن، المكان، الشخصية).

- والحدث الروائي ليس تمامًا كالحدث الواقعي في الحياة اليومية، وإن انطلق أساسًا من الواقع. ذلك لأن الروائي (الكاتب)، "حين يكتب روايته يختار من الأحداث الحياتية، ما يراه مناسبًا لكتابة

---

[25] المرجع السابق، ص٤٦

[26] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص١٠٠

[27] علم السرد، مدخل إلى نظرية السرد، يان مانفريد، ص١٠١

روايته، كما أنه ينتقي ويحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني، ما يجعل من الحدث الروائي، شيئا آخر، لا نجد له، في واقعنا المعيش، صورة طبق الأصل. الأمر الذي ينشأ عنه ظهور عدد من التقنيات السردية المختلفة ؛ كالاسترجاع والمونولوج الداخلي، والمشهد الحواري ، والقفز، والتلخيص ، والوصف، وما إلى ذلك[٢٨] ".

وهذه الرواية تتعلق بالقضية الحميمية التي تربط بين المرأة والرجل، والعلاقات الحميمية المتهاوية هي موضوع هذه الرواية. فالصراع لم يعد بين المرأة والرجل فحسب، بل بين أختين أيضًا، بين الأخت الصغرى والأخت الكبرى. والأولى هي التي تسعى إلى تدمير الثانية ، من أجل أن تستفرد بالميراث المادي للأب، في حين تحرص الأخت الكبرى على النظر إلى الأب باعتباره قيمة عليًا.

إن فاطمة يوسف العلي قد جعلت روايتها نموذجًا للأدب النسوي، فطبيعي أن الأحداث فيها لوحات مرسومة على شكل حياة النساء[٢٩]. وهناك عدة **أحداث مهمة بين الشخصيات في هذه الرواية**. ومنها:

- خيانة أرشيدان:

تثير الخيانة في روايات " فاطمة يوسف العلي" محورًا تدور في مركزه الأحداث ، وتتعمق في تشخيص الشخصيات ، التي تتقاطع . والخطر المحيط بالشخصية الرئيسة التي تجمعت فيها منازل النبل والإنسانية [٣٠]. **تحاول "أرشيدان" سرقة زوج أختها** وفي نفس الوقت ترددها، لكن بلادتها جعلتها تخبر "نوال" عن حادثة الإغراء فتستعد الأخرى لتلف خيوط أنوثتها حول "سالم" مجربة حظها في طعن "نجمة"[٣١] .

– **تلاعب "أرشيدان" بعواطف "سالم"**: "راحت أرشيدان في نوبة بكاء، تساقطت خلالها دموع التماسيح، أحدثت إرباكًا جديدًا لسالم، اقترب منها جاذبًا من جيبه منديله المصنوع من الحرير، ومده إليها لتمسح به دموعها: – أرجوك لا تبكي، تنهدت بحركة خرقاء مدهونة بالوهن:

---

[28] تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، ص٣٧

[29] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص٢٤٥

[30] لعبة الفوضى وجمالية الكتابة، زينب لوت، ص٤٨

[31] المرجع السابق، ص٤٨

– كم أنت ناعم ورقيق ورومانسي، ما تمنيت في حياتي أكثر من ذلك، لكن...

- التآمر:

يشد القارئ حبكة الكاتبة في تخيل المؤامرات ، التي تحاك حول شخصية "نجمة" بهدوء وسلاسة، "حين تكون "لوزة" على علم بأن "نجمة" ستحضر إلى المتجر، تعلن حالة الطوارئ لاستقبالها"[٣٢]، تتغير الوضعيات من الشعور بالذنب إلى تبرير الغاية، فالاحتياج والغبن جسَّد قدرة الزوجين في الاختلاس، لكن سرعان ما يحدثان انقلابًا وضعيًا بعد ظهور "نجمة" فى المتجر، ورد الهدوء والحيوية إليه، لكن تكتشف "نجمة" تلك الألاعيب، وتتحسر على طيبتها التي يقابلها الناس بالدسائس، والنوايا السيئة[٣٣].

"ما تم الاتفاق عليه بين لوزة وزوجها سميح تم تنفيذه بحذافيره، دخل "سمير خلف الله " مدير الفندق اللعبة، **لعبة التآمر ضد رزق نجمة**، وهل يمكن أن يتآمر أحد على رزق أحد والرزق من عند الله"[٣٤]؟ وعند "لوزة" التفسير الغريب في موضوع الرزق، كانت حجة لوزة أنها لا تسرق من نجمة شيئًا، هي فحسب تعمل لحسابها.

- الخيال:

الخيال هو إحدى أدوات الكتابة الواقعية، ومهمته تفكيك الواقع أيضًا، والعالم والواقع كلاهما فانتازي وبعيد الغور وغامض. وهذا الصفاء التعبيري هو روح الكاتبة الساردة، وبقدر ما في الحلم– الكابوس من قلق ورعب، فيه دهشة ومتعة، و"سالم" وحده مصدر الدهشة":

- شعرت نجمة بصداع ودوار في رأسها، كأن وراءها من يدفع بها إلى السقوط من فوق جبل، وهناك على جانبي الطريق صيادون يجيدون اصطياد الأيائل الرابضة في الأشجار"[٣٥].

- كانت "نجمة" في المصعد، وتحاول الخروج من المصعد، مليئة بالدهشة. وبعد الخروج منه، هي تتساءل: هل أصبح ذلك مجرد كابوس في الخيال؟ "سالم" وحده مصدر الدهشة، خيانة الزوج والصديقة هي الأقسى مهما كان الحال.

---

[32] نفسه، ص١٥٤

[33] لعبة الفوضى وجمالية الكتابة، زينب لوت، ص٥٣

[34] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص١٥٥

[35] المرجع السابق، ص٢٥٦

والملفت للاعتبار في الرواية أمران:

أولاً: تمثل المرأة انشغالًا جوهريًا في تفكير وإبداع الكاتبة فاطمة يوسف العلي، لذلك **كل الأحداث الرئيسية حول البطلة "نجمة".**

ثانيًا: جميع الأحداث في الرواية هي تسليط الضوء على الموضوع: الصراع بين "نجمة" والآخرين، وعلى الرغم أن سبب الصراع مختلف.

ثانيًا : الصراع واللغة :

اللغة قوام الجمال في العمل الإبداعي، شعره ونثره. وتقوم الرواية على أساس اللغة، "وبدون اللغة لا توجد رواية أصلًا كما لا يوجد فن أدبي بدونها[٣٦]. وقد تكون اللغة في الرواية هي أهم ما ينهض عليه بناؤها الفني، ويقسم الأسلوبيون" الأسلوب" إلى أربعة أنواع ، تعود إلى التصرف بالضمائر وأزمنة الأفعال، هي: الأسلوب المباشر، الأسلوب المندوب، الأسلوب غير المباشر، الأسلوب غير المباشر الحر[٣٧].

ولقد اهتم النقد الأدبي الروائي بتعدد المستويات اللغوية داخل النص الأدبي، لتناسب أوضاع الشخصيات الثقافية والاجتماعية والفكرية، وعلى الكاتب أن يستعمل اللغة، التي تناسب كل شخصية من شخصيات الرواية. **يقول باختين:** "إن الرواية هي التنوع الاجتماعي للغات وأحيانًا للغات والأصوات، تنوعًا منظمًا أدبيًا، وتقضي المسلمات الضرورية بأن تنقسم اللغة القومية إلى لهجات اجتماعية".[٣٨]

وإن القصة تزاوج بين أسلوبين مختلفين من حيث التركيب أو الأداء أو طريقة التعبير، هما السرد والحوار. ولا يجوز للكاتب مطلقًا أن يستغني بواحد منهما، كما أنه ليست لأي منهما نسبة محددة في الحجم بالقياس إلى الآخر. "والنص الروائي هو نتاج فردي، وخلاصة معرفة الأديب للغته ومدى تمكنه منها، وهو نتيجة لإحساسه بالفكرة ومعايشتها، وصلته ورسالته للقارئ"[٣٩].

---

[36] تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، ص٣٥

[37] تقنيات السرد الروائي في يوميات نائب في الأرياف، ناهد الشعراوي، ص٧٦

[38] الخطاب الروائي ترجمة محمد برادة، ميخائيل باختين، دار الفكر للدراسات، ١٩٨٧، ص٣٩

[39] دراسات نقدية في الرواية العربية، سحر حسين شريف، ص١٦٧

وبالإضافة إلى ذلك، **يلعب الحوار أدوارًا مختلفة في النص**، إذ يلقي الضوء على الشخصيات ويوضح طبيعتها، ويكشف عن تفكيرها وخلفياتها الاجتماعية.

- **الحوار**: هو ما يدور من حديث بين الشخصيات في قصة أو مسرحية، وهو يشكل جزءًا فنيًا هامًا من عناصر القصة لأنه يوضح طبيعة الشخصية، والطريقة التي تفكر بها ومدى وعيها بالقضية أو المأساة التي تشكل حياتها المتخيلة [٤٠]. والناس- في الحياة الحقيقية أو في العمل الأدبي- يختلفون في المستوى الفكري والثقافي، ولذلك على الكاتب أن يجعل حديث كل منهم مختلفًا اختلافًا واضحًا، يظهر الفروق الفردية بينهم في التفكير والتعبير.

ومن جانب آخر، يوجد الخلاف القديم بين نقاد الرواية حول الفصحى والعامية، وإن أطروحة الفصحى والعامية قد احتلت مساحة كبيرة من الكتابة النقدية، وأثارت جدلًا واسعًا بين النقاد يتعلق بمستويات اللغة في العمل الأدبي ، ومراعاة المقال لمقتضى الحال، وملاءمة الشكل للمضمون، واختلاف اللهجات العامية في أقطار الوطن العربي، بل اختلافها داخل القطر الواحد[٤١].

- الصراع واللغة في الرواية:

ولغة الروايات عند " فاطمة يوسف العلي " تتردد بين السردي، الذي يقوم بوصف المشاهد، والأحداث، والحوار الذي يعبر عن أفكار الكاتبة.

وتحرص المؤلفة على أن يكشف الحوار عن أفكار الشخصية، وثقافتها، وخلفيتها. ومثال ذلك: "نجمة الكاتبة، سيدة أعمال... ضحكت نجمة من قلبها: أنا أفشل سيدة أعمال.

ردت أرشيدان بروح أنثى معمرة: اعترفي، كيف تملكين تحويل لغة الأرقام إلى مشاعر في رواياتك"[٤٢]؟

وهكذا نرى أن الحوار السابق لم يؤثر في الأحداث، بل أنه مشهد اختلاف الشخصيات.

---

[40] دراسات في نقد الرواية، طه وادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص٤٧

[٤١] دراسات في نقد الرواية، طه وادى، ص٤٧

[٤٢] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص١٥

ونلاحظ أن المؤلفة تضع على لسان "نجمة" و"أرشيدان" كثيرًا من الألفاظ ، التي تسير على ألسنة المثقفين، فجعلت الكلام الصادر، يدل على شخصية الإنسان المتعلم المثقف.

"أهلين حبيب ماما". أهلين حبيبتي".

"أهلين وسهلين" . "أهلين أرشيدان، كيفك"؟[٤٣]

- مما سبق يتضح أن المؤلفة تستخدم العامية في التحية اليومية، على لسان الشخصيات الشعبية. وتحسن فاطمة العلي كعادتها، استخدام الحوار الفصيح الممتزج بالعامية، أو بالعامية الخالصة، إذا اقتضى الموقف.

"ألا تخشين أن أخبرها، إنني شقيقتها؟ طفقت نوال بثقة: لن تفعلي... من أين لك هذه الثقة؟

– أنت أيضًا لا تحبينها... ردت أرشيدان: من أدراك؟ ليس أدل على الأنثى من الأنثى.

– لكنها شقيقتي. – الميراث لديك أهم. – وما الأهم لك؟ – سالم." [٤٤]

– فالحوار السابق بين "أرشيدان" و"نوال"، **يوضح الصراع النفسي** الذي يعتمل في صدر أرشيدان، التي لا تعرف إلا مصلحتها، والعلاقة بينها وبين "سالم" كانت سرًا في قلبها. ولكن لم تكن "أرشيدان" تتخيل أن تسمع اعتراف نوال أنها لم تحب نجمة مطلقًا.

– وأيضًا هذا الحوار بين نجمة وابنها:

"أصر حمد: – لن أتزوج غير ميسون.

أصرت نجمة: – لن تتزوجها.

– أعلن حمد التحدي: – لن يملي أحد عليّ إرادته.

بادلته نجمة: – لن تملي أنت علينا إرادتك.

– دافع حمد عن نفسه: – أنا الذي سأتزوج وليس أنتم.

– دافعت نجمة عن الأسرة: – ونحن الذين سنختار زوجتك وليس أنت"[٤٥].

---

[٤٣] المرجع السابق، ص ٦١

[44] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص١٩٣

[45] المرجع السابق، ص٢١٦-٢١٧

– فنرى أن الحوار السابق بين "نجمة" وابنها "حمد" عن زواجه، **كلها حوارات طويلة** والجدل قوي. فهي الحوارات الدائرة بين الأم والابن، والتي تكشف فكرتهما وصراعهما، **وكلها بالفصحى**.

الحوار الداخلي: ونرى نموذجاً للحوار الداخلي، من خلال موقف بين "سميح" و"لوزة":

"ما شغل تفكير سميح وهو يتناول طعامه، هو كيف لهذه المرأة العراقية، أن تجمع بين الأنوثة والنعومة، كأحلى امرأة عرفها في حياته، وبين عقل الرجال، في آن واحد؟

ارتبك سميح حين لم يجد ردًا على سؤاله لنفسه، كيف سيكون معها؟ هل من الأفضل أن يكون أبسط من أن يبدو غامضًا أمامها، بما لا يجعله مستعصيًا عليها، أم يجبرها على الحيرة في تقييمه؟ اقتنع بأنها تريد أن تتحكم فيه وتدفع به إلى ما يخالف ضميره، وإن كان الضمير أمام المصلحة لا محل له من الإعراب عنده أحيانًا، هل يطاوعها في ذلك، أم يتصدى لها حتى تعلم منذ البداية، أنه لن يكون إمعة ينفذ ما تمليه عليه دون مناقشة"؟[٤٦]

فتكشف المناجاة السابقة عن فكرة نفسية "سميح"، وهو يحب المرأة العراقية"لوزة"، حبًا جمًا من قلبه. هو يفهم أن مصلحة المتجر مهم للوزة ، ويفكر في علاقته معها أيضًا. وهي تدفع به إلى ما يخالف ضميره.

- وكذلك موقف "نجمة" وهي تحاور نفسها في مناجاة داخلية، عن علاقتها مع "سالم" بعد رجوعها من المغرب: "تتصاعد حدة، تتذكر نوال، ورحاب، وعلياء، و أرشيدان، هل كلهن خائنات، من منهن صادقة في صداقتها؟ هل تفكر بهن جميعًا؟ ما المعيار الذي يمكن أن تحدد به بعد ذلك الصديق من العدو، لماذا عادتها نوال وهي التي كانت تعاملها بكل الود والإخلاص"؟

– وأيضًا بعد نقل والد "نجمة" إلى المستشفى مصابًا بجرح قطعي، الشرطة تعقبت الجناة، تقلق أنها ربما المقصودة، وتلقي "عبد الله الفرج" الضربة مكانها: "ماذا سيفعلون بي، هل سيحاولون اغتيالي كما فعلوا مع والدي، هل ستكون النهاية حادث تصادم، تصعد فيه روحي إلى بارئها، ما أقسى أن يجتمع منبعان للشر، الأول شر من أجل المال والثاني شر من أجل الانتقام، إن كيدهن عظيم، هل سأموت بإطلاق الرصاص، هل باستمالة أحد العاملين بالمنزل ليدس السم في شرابي أو طعامي"[٤٧].

---

[46] نفسه، ص٥٥

[47] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص ٢٧٠

- **فيوضح النص السابق الصراع النفسي الذي يعتمل في صدر "نجمة".**

– **والمونولوج يستطيع أن يصل إلى أعماق النفس البشرية**، لكشف أكثر النوايا أمام القارئ، فنعرف أن مصلحة "لوزة" أهم من الصلة مع "سميح" كزوجين.

– **ويسمح المونولوج بنقل الحياة الداخلية كما تجري خلال السرد**، فيترابط ما تقوله الكلمات والتراكيب مع الطريقة التي تقال بها، كأنما هو نقل موضوعي للأفكار الداخلية، للإيقاع الداخلي الذي يكسو الكلام، كما في هذا المقطع: "كيف تغفو عيناه على سنة من غفلة، فيروم إلى امرأة متورمة بالشر، كيف لرجل يجمع بين نصفين، أن ينطلق إلى نزوة عابرة مع صديقتها؟ ألم يكن يسأل نفسه ماذا لو افتضح أمره؟ لماذا سمح لنفسه بأن يخونها مع صديقتها؟ كان الأمر أهون إذا كانت الخيانة مع غيرها"[٤٨].

ثالثًا: الصراع والشخصيات :

- الشخصيات: لقد اهتمت الرواية التقليدية بالشخصية اهتمامًا كبيرًا، فهي التي تحمل المذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والطبائع البشرية. ولقد صور **بلزاك** في نماذجه البشرية، طبائع الناس في مجتمعه، بعيوبهم وعواطفهم وشرورهم وآثامهم.

- **واهتم الروائيون على مدى تاريخ الرواية بخلق الشخصية من الداخل والخارج**، وحمّلوها كثيرًا من الأعباء الاجتماعية والتاريخية والسياسية ، واجتهدوا في الإيهام بواقعيتها وصدقها الفني[٤٩].

وتعددت **طرق بناء الشخصية لدى المؤلفين**، وتلعب الشخصية دورًا كبيرًا في الرواية، على أساس أنها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها ، وقامتها، وصوتها، وملابسها، وسحنتها، وأهواؤها ، وهواجسها ، وآلامها ، وسعادتها ، وشقاوتها. ذلك لأنها كانت تلعب الدور الأكبر في العمل[٥٠].

ورواية غرف متهاوية ترتبط فيها الشخصيات الروائية ، بهيمنة النزعة الثقافية والاجتماعية من جهة ، والهيمنة النفسية من جهة أخرى.

---

[48] المرجع السابق، ص٢٢٦

[٤٩] دراسات نقدية في الرواية العربية، سحر حسين شريف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١، ص١٤٠.

[50] نظرية الرواية–بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، دار المعرفة، الكويت، ١٩٨٨، ص٨٦.

الصراع والشخصيات في غرف متهاوية: إن رواية" غرف متهاوية" تتميز بعدد هائل من الشخصيات، رجالًا ونساءً، وكبارًا وصغارًا، والكاتبة أكسبت أفعال شخصياتها وأقوالها، ملامح الإنسان العادي، وجعلتها تتماثل مع واقع الحياة اليومية.

وتتعدد ملامح شخصيات الرواية، فمنها: الأصلية والفرعية. الملتزمة بالقيم وغير الملتزمة بها، الوضعية والتقليدية، التمثيلية أو النوعية، البسيطة والمعقدة، الثابتة والمتغيرة، وما إلى ذلك.

– ونقف عند معالم الصراع عند أبرز شخصيات الرواية :

في هذه الرواية نشهد للمرأة حضورها الروائي الفعال، مما تجلى في شخصية الكاتبة نجمة.

١- نجمة: هي زوجة الدبلوماسي المشهور، وسيدة الأعمال، والأم.

– وهي البطلة والشخصية الرئيسة في الرواية. وتحب نجمة القمر حبًا جمًا، وأصدرت روايتها الأولى" قمر الليل". يصبح القمر كائنًا يفيض بمشاعر وأحاسيس لا تعد ولا تحصى، يسأل ويجيب، ويؤمر ويفعل، ويفصح عن عاطفة بعذوبة نهر ريفي[٥١]: "ونظرت نجمة إلى القمر بملء العين، ونظر إليها بملء العين، ابتسمت له فابتسم لها، فاجأها بشعاع فضي، أرسله إلى وحدتها، حول ماء البركة إلى خيوط من ضياء" .[٥٢]

- كما تصور فاطمة يوسف العلي علاقة "نجمة" بالمجتمع الثقافي ، ومكانتها داخل المؤتمرات ، واللقاءات الاجتماعية. **وتعد صورة نجمة قريبة إلى المزايا الداخلية لأحاسيس الكاتبة إلى حدٍ كبير**، فهي تشترك معها في الكتابة ، وصوت المؤلفة يندمج مع قرارات الشخصية ، وطريقة توصيف المستويات؛ الحسية ، والفكرية ، والثقافية ، وأحيانا مركزية[٥٣]. ومكانة نجمة تأخذ نفس الوازع الحياتي، وأفق التمييز ونمط الخصوصية، مما سهل بلوغ العديد من المشاهد الحوارية الكافية، لإقناع المتلقي بحقيقتها في الرواية.

– وكانت نجمة كريمة سخية، معطاءة محمودة الشمائل، و"تعتمد لكل من لوزة وسميح راتبًا شهريًا وامتيازات أخرى، منها تذكرتا سفر وإقامة على نفقتها كل عام، في إحدى المدن الغربية لمدة

---

[51] فاطمة يوسف العلي أيقونة السرد الخليجي المعاصر، عذاب الركابي، آفاق للنشر، الكويت، ٢٠١٩، ص.٤٣

[52] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص٦-٧

[53] المرجع السابق، ص١٤٧

أسبوع، وتذكرتا ذهاب وعودة إلى بلدي كل منهما، العراق وفلسطين، لزيارة الأهل والأصدقاء. ووعدت نجمة أيضا بأن تضيف إلى التذكرتين تذاكر أخرى بعدد الأبناء في حالة الإنجاب"[٥٤].

وأوردت الكاتبة هوايات نجمة، ومنها زراعة النباتات النادرة، ومعرفتها بأنواع النباتات، وقيمتها.

– **ونجمة هي حاملة لواء الجهاد من أجل نصرة المرأة**، وضد هيمنة الرجل، وسطوة الفحولة والذكورة ، على الكتابة وعلى الواقع. وعلى ذلك فشخصية نجمة شخصية امرأة طيبة القلب، وسامية الأخلاق.

٢- أرشيدان: وهي شخصية نسائية أخرى في الرواية، شخصية مركبة ومتنامية في نفس الوقت، هي شقيقة "نجمة".وهي تسعى إلى المال، مال الأب وحقها في الميراث ، وحق أمها التركية والتي تراه مهدورًا، ولا بد أن تقاوم بكل أسلحتها المرئية وغير المرئية، السلمية والعدائية معًا، لتنال نصيبها من الميراث، سواء أكان الأب حيًا أم ميتًا. وتحاول إثبات وجودها، أمام شقيقتها "نجمة" وصديقتها "علياء".

وأرشيدان دائمًا مشغولة تفكر في ميراثها ، وتشعر بأنها تخطو في الطريق الصحيح نحو تحقيق الهدف، وتستهدف تسديد أهداف صحيحة في مرمى نجمة وسالم.

والصراع الحاد بين "أرشيدان" و"نجمة" موجود في عدة معارك:

ميراث الأب، ربح المتجر، الزوج "سالم"...هي تلعب بالنار مع "سالم" فقط لتحقيق ما تسعى إليه، وهو الحصول على الميراث، رضي الأب المسن المريض أم لم يرض، ميتًا كان أم حيًا: "تلقت نجمة اتصالًا هاتفيًا من أرشيدان، جاءها صوتها بهدف الاتصال مباشرًا، كأنها تطلع من مجرى الجنون الذي أصابها بالأمس، طلوع الإمام من محراب العبادة، أو كأنها تلقي حجرًا في المياه الراكدة:

– تحدثت إلى الوالد منذ قليل في أمر حصولي على ميراثي، غضب، أخشى أن تحدث أزمة"[٥٥]، وكانت كل تصرفات أرشيدان تفضحها، "تكشف أن نظرتها إلى الوالد، ليست إلا مثل نظرة الجائع الشره إلى طبق من الطعام الشهي، لم تكن نجمة تعتقد أن يصل الأمر بشقيقتها إلى هذا الحد، وأن تطالب بميراثها في أموال والدها، دون مواراة أو تلميح، وهو على قيد الحياة"[٥٦].

---

[54] نفسه، ص٨٠.

[55] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص٣٩

[56] المرجع السابق، ص٤٥.

في نهاية الرواية، تتعرض " نوال" و"أرشيدان" لحادث داخل السيارة في مساء ممطر. وبهذا تعكس الكاتبة الجزاء، الذي يناله الشخص المذنب من خالقه، بعدما تكاثفت خطاياه، دون الرجوع عنها أو التوبة.

٣- سالم: وهو زوج "نجمة" ، ودبلوماسي مشهور، وكان يعمل في الوزارة. ودائما هو إما في مهمة دبلوماسية خارج البلد، أو في مهمة دبلوماسية داخل البلد، أو في الوزارة أو مع أعشابه الطبية والكمبيوتر والانترنت. وهو يعرف العراق بشكل دقيق: "بعد سقوط النظام العراقي على أيدي القوات الأمريكية، عاش سالم مهمومًا بأمر العراق، يدلي بكثير من المعلومات في أي حوار حول الشئون العراقية، بوصفه متخصصًا في متابعتها وتحليلها بحكم عمله، له الكثير من البحوث والدراسات بشأنها، مطبوع عنها بخاتم ذي لون أزرق جملة "سري للغاية".

ويقع البطل "سالم" في فخ الجسد، وتمثله "أرشيدان" .

فبرغم نجاحه الدبلوماسي في العمل والسياسة والعلاقات الرسمية، فإنه سقط في علاقة رومانسية، عاطفية شبابية، بسلوك مبرر وفق حكمة الرواية على أنه مجرد نزوة.[٥٧]

٤- نوال: هي صديقة نجمة، طيبة وحنون، موهوبة ذات موهبة في الكتابة. هي و" أرشيدان" نفس الهدف، والسهم الماضي والثاقب هو ترجمة الكراهية ل "نجمة".

"نوال" المنكسرة حياتيًا والفاشلة عاطفيًا، ليست أكثر من سلم لـ "أرشيدان"، تتسلق من خلاله إلى ما تريد، وتنفذ كل غزواتها حتى في وضح النهار الأسري، مستخدمة كل أسلحتها المرئية وغير المرئية.

"أرشيدان" رأت أن "نوال" يمكن أن تكون لها سندًا ضد "نجمة"، و"نوال" رأت أن "أرشيدان" يمكن أن تعوضها عما تشاءه. **و"نوال" منفذة جريمة الاغتيال، ومموله الأكبر "أرشيدان"**، وتلك ردة فعل بشعة على قرار المحكمة الذي اتخذته، برد ورفض الدعوى القضائية التي أقامتها الشقيقة "أرشيدان" ضد والدها، للحصول على حقها في الميراث.

وشخصيتا "نوال" و"أرشيدان": تحاكمهما أفعالهما الدنيئة، بقسط عادل من الطبيعة، **ففي ليلة شتوية باردة وثلجية ممطرة ومظلمة، وهما يحاولان الهرب بأفعالهما إلى تركيا، سبقتهما إرادة**

---

[57] فاطمة يوسف العلي أيقونة السرد الخليجي المعاصر، ص٦٣

الله، وعقوبة الخالق، وعدالة حكمه وقضائه، أعدل من أي قضاء ومحكمة، وينالان جزاءهما في حادث سير.

5- سميح ولوزة: إن الشخصيتين الفاعلتين في" غرف متهاوية" هما" سميح" و"لوزة".

سميح هو فلسطيني مسئول المشتريات، ولوزة زوجته. ويعملان في المتجر.

"أقنعت لوزة نفسها بأن فرصة العمل التي وفرها سميح لها، ربما تكون سلمًا تصل به إلى ما تريد أن تحققه، وها هي الخطوة الأولى قد بدأت، فلا مانع من استكمال المسيرة"، **وقرارهما معًا الخيانة ، وسرقة أموال مما أتمنتهما عليه "نجمة"، والاثنان الماكران ماضيان في دهاليز الخيانة**[٥٨].

وبشكل عام، فهما شخصيتان مثيرتان ، ويعكسان صراعًا ماديًا بينهما وبين البطلة "نجمة"، ولهما الجدل،وموضوع الجدل هو خيانة الأمانة.

٦- حمد: هو ابن نجمة وسالم. كان يدرس خارج البلد وحده. انتهى من امتحانات الفصل الدراسي الأخير في دبلوم تكنولوجيا الحاسب الآلي، ويستعد للعودة إلى بلده الكويت. وهو في شوق لأمه وأفراد أسرته، بل والصلاة في كل ركن من أركان البيت الذي يحتفظ له بذكريات طفولته[٥٩].

وبعد سلامة وصوله إلى الوطن الحبيب، وجد الجميع أنه تغيرت ملامحه، لم يعد حمد الصغير، وقد أصبح الآن مراهقًا كبير القلب، متفتح الأحاسيس ، مشرق الوجدان.

وقد سرق" حمد" قلب "ميسون" منذ أول نظرة، سرقة لا رجعة فيها، وأيضًا أكدت إحساسها بحبه لها، و"نجمة" رأتهما في احتضان حار. وطبعًا في البداية لم توافق "نجمة" على زواجهما: " إنها مديرة المنزل ، وهي ليست ابنة عمك ، أو ابنة خالك ، أو زميلة الدراسة أو العمل، إنها مديرة المنزل"[٦٠]، بينما أمه (نجمة) كانت تتمنى أن يكبر وظيفيًا، ويشتغل دبلوماسيًا مثل والده، وأن يتزوج من سفيره"[٦١].

– وهنا يبدو الصراع الطبقي بين "نجمة" و"ميسون"، من كلمات نجمة التي تشير إلى دونية وتمييز. مديرة المنزل تعني خادمة لها. وهذا الصراع الطبقي بين صاحبة المنزل والخادمة، وهما تنتميان إلى

---

[58] فاطمة يوسف العلي أيقونة السرد الخليجي المعاصر ، ص ٥٦

[59] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص١٢

[60] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص٢١٥

[61] المرجع السابق، نفسه، ص ٢١٨

طبقتين مختلفتين من الأصل. ولكن في نفس الوقت، قاوم "حمد" لزواجه وحياته، قائلاً:" **لن أتزوج غير ميسون**"[٦٢].

وفي النهاية، وافقت "نجمة" على زواجهما، لأنها ماهرة في المطبخ، وإدارة المنزل وحسن إنفاق الميزانية، وهى رقيقة، وفوق كل هذا هي عراقية، لأن "نجمة" تحب العراق كما تحب الكويت.

٧- بدر: هو ابن "نجمة" و"سالم" وينتمي في هوايته إلى أمه نجمة، كلاهما يهوى زراعة الخضراوات. وهو الوحيد القادر على تشجيع أمه للخروج من المحنة التي تمر بها ، وتجاوز الأزمة بشجاعة.

٨- عبد الله الفرج: وهو كويتي والد نجمة و أرشيدان، وغني جدًا. وهو رجل أصيل.تسعى أرشيدان إلى ميراثه بكل طريقة. وله صديق قديم اسمه "العم بكر" .

"هل صحيح أن والدي تبرع للحكومة العراقية المؤقتة بخمسين مليون دولار، بحجة دعمها حتى تستقر الأوضاع ويتم انتخاب الحكومة الدائمة؟ **فأجابها سالم** – ماذا لو كان قد حدث؟

– أدركت أرشيدان أن السؤال الذي أجاب به سالم عن سؤالها ، يعني الإجابة بالإثبات"[٦٣]، فمن الحوار السابق يمكننا أن نعرف أن "عبد الله الفرج " يريد أن يتبرع بأموال كثيرة للحكومة، وبالطبع هذه الإرادة تؤدي إلى معارضة أرشيدان، والصراع بينها وبين "نجمة ، بسبب موقف مختلف تمامًا تجاه الميراث.

– **ولسوء الحظ أنه دخل المستشفى** مصابًا بجرح قطعي عميق بالفخذ الأيمن، وعدة جروح سطحية في الذراعين والساق اليسرى. وخبر الاغتيال هذا قد عرض في التلفزيون، والشرطة تعقبت الجناة، والمتهمان اعترفا بأن **"نوال" هي التي دبرت للجريمة والشقيقة "أرشيدان" هي التي مولت تنفيذها**.

رابعًا: الصراع والزمكان في الرواية:

ويتأثر الإنسان بالمكان تأثرًا كبيرًا، فهو ابن بيئته، ويتشكل وفقًا لمعطياتها من الجوانب الشكلية والنفسية والسلوكية[٦٤]. **وقد تمتلك الأماكن في النصوص السردية الروائية مرجعية واقعية**، ثم تأتي المخيلة الأدبية، فتقدم الأماكن في النصوص الروائية لتؤدي وظائف فنية.

---

[62] نفسه، ص٢١٦

[63] نفسه، ص ٦١-٦٢

[64] دراسات نقدية في الرواية العربية، سحر حسين شريف، ص٥٣

وإن الزمان والمكان هما عنصران يورثان الغنى في البناء الفني للرواية، حيث يمكنهما أن يعطيا دلالات متنوعة كثيرة، تزيد الحدث القصصي منطقًا ومعقولية[٦٥].

ويعد مصطلح (الزمكانية) أحد أهم مفاهيم (Bakhtin) المعقدة، وتعنى حرفيًا (الزمان والمكان) لأنها مركبة على التوالي من المفردتين معًا[٦٦]، وهو مصطلح يجمع معاً الزمان والمكان.

وتكمن **وظيفة الزمكان** في كونها أداة تحليل اجتماعية وتاريخية واسعة ، لدراسة العلاقة بين الفن والحياة ، وأهمية الزمكان تكمن في ترسيخ العلاقة بين النص والكاتب والقارئ ، حيث تضع النص في الإطار المكاني والزماني والتاريخي معًا.

وفي الدراسة التطبيقية للرواية، تبينت علاقة المكان بالزمان واضحة ومحددة.

- الصراع والزمكان في رواية" غرف متهاوية":

في" غرف متهاوية"، تهتم فاطمة يوسف العلي بتحديد المكان ، الذي تدور فيه أحداث روايتها ، وتصفه وصفًا دقيقًا. ويتجلى هذا في وصفها للفندق، والمنزل، والحديقة، والسوق، وقاعة المحكمة، والوزارة، والديوانية"[٦٧]. كما اهتمت الكاتبة بوصف موقع الأحداث قبل دخولها في وصف تفاصيل الحدث.

النتائج:

– وهكذا؛ فقد نجحت فاطمة يوسف العلي بإبداعها الروائي، وسردها الجمالي، أن تعرض جوانب من قضايا المرأة العربية، خلال روايتها "غرف متهاوية". هذه الرواية التي اتخذت الصراع بين الأخوة موضوعها المركزي.

– وإن عنوان الرواية " غرف متهاوية" يرمز لتلك الغرف الداخلية، التي نحتفظ فيها بالإخوة، والأصدقاء.

– وقد شكلت الروائية عديدًا من الشخصيات النسائية في الرواية، بأبعادها النفسية والاجتماعية، ونجحت في عرض صراع الشخصيات، من منظور واقعي ممتزج بالخيال الروائي، يدور

---

[65] تقنيات السرد الروائي في يوميات نائب في الأرياف، ناهد الشعراوي، الإسكندرية.

[66] دراسات نقدية في الرواية العربية، سحر حسين شريف، ص٧٢

[67] غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، ص٥

حول قضايا إجتماعية عائلية في أسرة كبيرة.

– وعرض هذا البحث لأشكال الصراع العائلي، من خلال السرد النسائي للكاتبة " فاطمة يوسف العلي"، بألوانه: المادية، والاجتماعية، والنفسية .

– كما عرض البحث قضايا صراعات الأخوة في الرواية من خلال التقنيات الفنية للرواية، ومنها: الحدث، واللغة، والشخصيات، والزمكان.

المصادر والمراجع:

١) **غرف متهاوية، فاطمة يوسف العلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٧م.**

٢) **البحث الأدبي : طبيعته ومناهجه وأصوله ةمصادره، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١٠م.**

٣) **تاريخ علم الاجتماع، الرواد والاتجاهات المعاصرة، محمد علي محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.**

٤) **تحليل النص الأدبي ثلاثة مداخل نقدية، إبراهيم أحمد ملحم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦م.**

٥) **تقنيات السرد الروائي في يوميات نائب في الأرياف، ناهد الشعراوي، الإسكندرية.**

٦) تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٥م.
٧) الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، ميخائيل باختين، دار الفكر للدراسات، ١٩٨٧م.
٨) دراسات في نقد الرواية، طه وادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.
٩) دراسات نقدية في الرواية العربية، سحر حسين شريف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١١م.
١٠) سيكولوجيا الطفل (علم نفس الطفولة)، ألفت حقي، مركز الاسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٨م.
١١) الصراع الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، نادية سعيد عيشور، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣م.
١٢) علم السرد، مدخل إلى نظرية السرد، تأليف يان مانفريد، ترجمة، تحقيق: أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
١٣) فاطمة يوسف العلي أيقونة السرد الخليجي المعاصر، عذاب الركابي، آفاق للنشر، الكويت، ٢٠١٩م.
١٤) لعبة الفوضى وجمالية الكتابة، زينب لوت، دار غراب للنشر والتوزيع .
١٥) مدخل إلى علم النفس، مصطفى عشوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩م.
١٦) معجم علم النفس، فاخر عاقل، دار الملايين، بيروت، دون تاريخ .
١٧) نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عبد الملك مرتاض، دار المعرفة، الكويت، ١٩٨٨م.